

الفصل الثالث

الدراسة الصرفية وتتضمن:

1. الأبنية الصرفية والأمثال.
2. الخروج على الأصول الصرفية.
3. تعدد الروايات في الأمثال.
4. الإبدال.
5. التسهيل.

أولاً: الأبنية الصرفية والأمثال:

نظراً لتعدد الأبنية الصرفية في لغة الأمثال رأينا ضرورة استقراء أشهر الأبنية الصرفية للكلمات المزوجة في الأمثال التي قامت عليها هذه الدراسة، باستثناء الكلمات الدخيلة التي ستحلل صوتياً لأنها لا وزن لها على المستوى الصرفي، وفيما يلي عرض لهذه الأبنية مرتبة وفق المجرّد فالمزيد:

1- صيغة فَعَلَ وقد جاءت في قولهم:

- "حيثما سَقَطَ لَقَطَ"⁽¹⁾.
- "شَرِبَ فما نَقَعَ ولا بَضَعَ"⁽²⁾.
- "كمستبضع التمر إلى هَجَرَ"⁽³⁾.
- "اللهم سَمِعاً لا بَلْغاً"⁽⁴⁾.
- "ما أشبه الحَوْلَ بالقَبْلَ"⁽⁵⁾.
- "ما عنده حَضَضَ ولا بَضَضَ"⁽⁶⁾.
- "من رَفَقَ رَتَّقَ ومن خَرَقَ حَرَقَ"⁽⁷⁾.
- "من غَلَبَ سَلَبَ"⁽⁸⁾.

2- وزن فَعَلَ كما في قولهم:

- "إنّ النساءَ لَحَمٌّ على وَضْمٍ"⁽⁹⁾.
- "البَغْلُ نَغْلٌ وهو لذلك أَهْلٌ"⁽¹⁰⁾.

(1) مجمع الأمثال الميداني، 320/1، و قال الميداني: يضرب للمحتال.

(2) المصدر نفسه، 518/1، ذكر سابقاً.

(3) المستقصى، الزمخشري، 233/2، كانت معدن التمر قبل العراقيين.

(4) المصدر نفسه، 342/1، وقال: ويروى سمع لا بلغ يقوله الرجل إذا سمع خبراً لا يعجبه. أي جعله الله مقصوراً على السماع ولا بلغ أن يتم ويتحقق.

(5) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 102/3، وفسره بقوله: الحول: ظهور البياض في مؤخرة العين، ويكون السواد من قبل الماق والقيل مثله يضرب في تشبيه الرجل بأبيه.

(6) التحفة الأدبية، قصير، ص 181.

(7) مجمع الأمثال، الميداني، 373/2.

(8) المصدر نفسه، 371/2.

(9) المصدر نفسه، 29/1، وفسره بقوله: الوضم: ما وقى به اللحم من الأرض من بارية أو غيرها وهذا المثل يروى عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجلٌ بمغيبية إن النساء لحمٌ على وضمٍ.

- "تَحْتَ هَذَا الْكَيْشِ نَيْشٌ" (11).
- "غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ" (12).
- "لِكُلِّ زَعْمٍ خَصْمٌ" (13).
- "مَا بِهِ نَيْضٌ وَلَا حَيْضٌ" (14).
- "مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَلَا مَيْرٌ" (15).
- "مَا عِنْدَهُ شَوْبٌ وَلَا رَوْبٌ" (16).
- "مَا لَهُ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ" (17).
- "هَيْنٌ لَيْنٌ وَأُودَتِ الْعَيْنُ" (18).
- "جَاءَ بِالْهَيْءِ وَالْجِيءِ" (19).
- "ذَهَبَ أَهْلُ الدَّيْرِ بِالْأَجْرِ" (20).
- "قَدْ يَبْلُغُ الْخَضْمُ بِالْقَضْمِ" (21).
- "مِنَ الرَّفْشِ إِلَى الْعَرْشِ" (22).

3- وزن فَعْلٍ كما في قولهم:

(10) مجمع الأمثال، الميداني، 145/1، وفسره بقوله: يقال فلان نغل: إذا كان فاسد النسب، ويضرب لمن لؤم أصله فخبث فعله.

(11) المصدر نفسه، 207/1، يضرب لمن يرتاب به.

(12) المصدر نفسه، 12/2، فُسِّرَ سابقاً.

(13) المصدر نفسه، 192/2، و قال الميداني: الزعم ثلاث لغات والتقدير لكل ذي زعم خصم، أي لكل مدع خصم يباريه ويناوله. يضرب عند ادعاء الإنسان ما ليس له.

(14) التحفة الأدبية، قصير، ص 97، و قال: النبط والحبيض من الوتر، والنبض تحريك الوتر والحبيض صوته.

(15) مجمع الأمثال، الميداني، 312/2، وفسره بقوله: الخير: كل ما رزقه الناس من متاع الدنيا. المير: ما جلب من الميرة وهو ما يتقوت فيترود، أي ليس عنده خير عاجل ولا يرجى منه أن يأتي بخير.

(16) المصدر نفسه، 321/2، ذكر سابقاً.

(17) متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، حققه وقدم له: هلال ناجي، مطبعة المعارف، ط1، 1970، ص 156. وقال: أي ماله شيء.

(18) أمثال العرب، المفضل الضبي، ص 172. ذكر سابقاً.

(19) مجمع الأمثال، الميداني، 238/1، وفسره بقوله: أي بالطعام والشراب وقيل: هما اسمان من قولهم جأجأت بالأبل إذ دعوتها للشرب وهأهأت بها إذا دعوتها للعلف.

(20) المصدر نفسه، 389/1.

(21) المصدر نفسه، 56/2 وفسره: الخضم أكل بجميع الفم، والقضم بأطراف الأسنان.

(22) المصدر نفسه، 327/2 وفسره بقوله: الرفش: مجرفة يرفش بها البر، ويجوز أن يكون الرفش مصدر رفش يرفش وهو الرفع، أي كان نازلاً فصار صاعداً.

- "جاء بالشقَرِ والبُقَرِ وبيّناتٍ غيرٍ" (23).

- "جاء بالصقَرِ والبُقَرِ" (24).

4- وزن فعول كما في قولهم:

- "إنّه لطَيورٌ فيورٌ" (25).

- "رجلٌ ظلومٌ غشومٌ" (26).

- "ركوضٌ في كلِّ عروضٍ" (27).

- "الصَّبْرُحُ جَمُوحٌ" (28).

- "النفسُ عزوفٌ ألوفٌ" (29).

5 - صيغة فَعِيلٌ كما في قولهم:

- "ريحٌ ولكنه مَلِيحٌ" (30).

- "الطَّرِيفُ خَفِيفٌ والتَلِيدُ بَلِيدٌ" (31).

- "كلٌّ غَرِيبٌ للغَرِيبِ نَسِيبٌ" (32).

- "مَلِيحٌ قَزِيحٌ" (33).

- "رب حَنِيثٌ مَكِيثٌ" (34).

(23) مجمع الأمثال، الميداني، 242/1، وقال الميداني: وبروى بالصقَر والغير من قولك غيرت الشيء فتغيّر ويراد

ها هنا جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق. والشقَر والبقر اسم لما لا يعرف أي جاء بالكذب الصريح.

(24) زهر الأكم، اليوسي 65/2، ذكر سابقاً.

(25) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 84. وقال: يقال للحديد السريع الرجعة.

(26) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري 33، ذكر سابقاً.

(27) مجمع الأمثال، الميداني، 425/1، وقال: العروض: الناحية، يضرب لمن يمشي بين القوم بالفساد.

(28) المصدر نفسه، 578/1، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة صبح 502/2 الصبوح:

كل ما أكل أو شرب غدوةً وقيل: الخمر. وقيل: ما جُلِبَ بالغداة من اللبن، وقيل: الناقة المحلوبة بالغداة. جموح

مادة جمح 426/2 فرس جموح إذا لم يثن رأسه، والجموح من الرجال: الذي يركب رأسه فلا يمكن رده.

(29) المصدر نفسه، 392/2، ذكر سابقاً.

(30) المصدر نفسه، 445/1، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ملح 601/2

الملح: الحسن من الملاحه.

(31) جمهرة الأمثال، العسكري، 17/2، وقال: المثل للقمان بن عاد ومعناه أن الذي تستجده من الأشياء أحب إليك من

الذي طال لبثه معك.

(32) مجمع الأمثال، الميداني، 155/2، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة غرب 640/1

رجل غريب ليس من القوم. مادة نسب 756/1 النسب: القريب.

(33) الأمثال، لأبي عكرمة الضبي، ص 101. وفسره بقوله: يراد بذلك المبالغة في المعنى، المقصود هو في جودته

وإحكامه بمنزلة الصنيع من الطبخ الذي قد ملح وقزح. والقزح: التابل. ومليح: فعيل من الملح.

- "رَبِّ دَمِيمٍ غَيْرِ دَمِيمٍ" (35).

6- وزن فاعِل كما في قولهم:

- "إِذَا أَخْصَبَ الزَّمَانُ جَاءَ الْغَاوِي وَالْهَاوِي" (36).

- "اخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ" (37).

- "بَقِينَا بَيْنَ كُلِّ حَاذِفٍ وَقَاذِفٍ" (38).

- "تَرَكْتُ فَلَانًا سَادِحًا رَادِحًا" (39).

- "حَوْلَ حَابِلِهِ عَلَى نَابِلِهِ" (40).

- "فَلَانٌ جَائِعٌ نَائِعٌ" (41).

- "مَالَهُ حَابِلٌ وَلَا نَابِلٌ" (42).

- "مَا عِنْدَهُ طَائِلٌ وَلَا نَائِلٌ" (43).

- "مَالَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ" (44).

- "مَالَهُ هَابِلٌ وَلَا آيِلٌ" (45).

(34) مجمع الأمثال، الميداني، 421/1، وقال: يقال مكث فهو ماكث ومكيث، يضرب لمن أراد العجلة فحصل على البطء.

(35) خاص الخاص، الثعالبي، ص 49 وقال: يضرب في ذي الخير الذي لا منظر له. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ذم 222/12: نقيض المدح. والذميم ما يسيل على أفخاذ الإبل والنغم وضروعها من ألبانها. الذميم 208/12 مادة ذم: الدمامة: القصر والقبح.

(36) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1، وفسره بقوله: الغاوي: الجراد، والهاوي: الذباب. تهوي أي تجيء وتقصد إلى الخصب، يضرب في ميل الناس إلى حيث المال.

(37) المستقصى، الزمخشري، 94/1، وفسره بقوله: أي ناصب الحباله بالرامي بالنبل، وقيل السدى باللحمة، يضرب في اشتباك الأمر وارتبأكه.

(38) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبوبكر الأنباري، 75/2، وفسره بقوله: الحاذف: الذي يحذف بالعصا، والقاذف: الذي يقذف بالحجارة.

(39) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 60، ذكر سابقاً.

(40) زهر الأكم، اليوسي، 146/2، وفسره بقوله: الحابل: هنا السدى، والنابل: اللحمة. والمعنى جعل أعلاه أسفله وهو ظاهر.

(41) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبوبكر الأنباري، 47/2، وفسره بقوله: النائع: هو الجائع وقالوا هذا إتياع. كقولهم: حسن بسن، وقال بعضهم النائع: العطشان.

(42) مجمع الأمثال، الميداني، 319/2، وفسره بقوله: الحابل: السدى والنابل: اللحمة أي ماله شيء.

(43) المصدر نفسه، 312/2، وفسره بقوله: الطائل: من الطول وهو الفضل، والنائل من النوال وهو العطية والمعنى ما عنده فضل ولا جود.

(44) المصدر نفسه، 291/2.

- "هو الفائق والرائق" (46).

7- وزن أَفْعَلَ كما في قولهم:

- "أَعْذَرَ مَنْ أُنْذَرَ" (47).

- "أَفْرَطَ فَأَسْقَطَ" (48).

- "أَقْصَرَ لَمَّا أَبْصَرَ" (49).

- "من أَكْثَرَ أَهْجَرَ" (50).

8- وزن فَعَّال كما في قولهم:

- "أعطاني اللِّفَاءَ غَيْرَ الْوَفَاءِ" (51).

- "السَّرَّاحُ مِنَ النَّجَاحِ" (52).

- "النِّدَاءُ بَعْدَ النَّجَاءِ" (53).

- "لكلِّ داءٍ دواءٌ" (54).

- "ما له دارٌ ولا عَقَارٌ" (55).

- "لا عَبَابَ ولا أَبَابَ" (56).

9- وزن فِعَالٍ كما في قولهم:

(45) مجمع الأمثال، الميداني 325/2، وفسره بقوله: الهابل: المحتال والابل: الحسن الرعية. يضرب لمن لا يكون له أحد يهتم بشأنه.

(46) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 477/1، وفسره: أي هو مالك الأمر هو يفتح ويغلق ويضيّق ويوسع. يقال: قد رتق فهو رائق إذا ضم وجمع.

(47) مجمع الأمثال، الميداني، 655/1، وفسره: أي من حذرَكَ ما يحل بك فقد اعذر إليك، أي صار معذوراً عندك.

(48) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1. وقال: أي من كثر كلامه كثر سقطه.

(49) المصدر نفسه 161/1، ذكر سابقاً.

(50) مجمع الأمثال، الميداني، 329/2، وفسره بقوله: الإهجار: الإفحاش، وهو أن يأتي في كلامه بالفحش، والهجر: الاسم من الإهجار كالفحش من الإفحاش، سُمي هجراً لهجر العقلاء إياه. يضرب لمن يأتي في كلامه بما لا يعنيه.

(51) المصدر نفسه، 634/1. وفسره بقوله: اللفاء: الخسيس، الوفاء: التام. يضرب لمن يبخسك حقك ويظلمك فيه.

(52) المصدر نفسه، 463/1، وقال: يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة، أي ينبغي أن تؤيسه منها إذا لم تقض حاجته.

(53) المصدر نفسه 395/2، وقال الميداني: يضرب في التحذير، والنجاء المناجاة يعني يظهر الأمر بعد الإسرار أي بعد ما أَسَرَ.

(54) المصدر نفسه، 273/2.

(55) المصدر نفسه، 311/2 وفسره بقوله: العقار: النخل، ويقال هو متاع البيت.

(56) المصدر نفسه، 253/2 وفسره: يقال إنَّ الطباء إذا أصابت الماء لم تعب فيه، وإن لم تصبه لم تأبب له أي لم تنتهياً لطلبه، يضرب للرجل يعرض عن الشيء استغناءً.

- "بعد الهَيَّاطِ والمَيَّاطِ" (57).

- "السَّلاحِ ثُمَّ الكَفَّاحِ" (58).

- "العِتَابِ قَبْلَ العِقَابِ" (59).

10- وزن فُعَالٍ كما في قولهم:

- "رماه بِسُكَايَتِهِ وَصُمَمَاتِهِ" (60).

11- وزن أَفْعَلُ كما في قولهم:

- "أَطْرَحَ وَأَفْرَحَ طُفَيْلِيَّ وَمُقْتَرَحَ" (61).

12- وزن فُعَالَةٌ كما في قولهم:

- "خَشَّ ذُوَالَةَ بِالْحَبَالَةِ" (62).

13- وزن فَعُولَةٌ كما في قولهم:

- "ماله حُلُوبَةٌ وَلَا رَكُوبَةٌ" (63).

14 - وزن فَاعِلَةٌ كما في قولهم:

- "ماله نَاعِيَةٌ وَلَا رَاغِيَةٌ" (64).

- "ماله سَارِحَةٌ وَلَا رَائِحَةٌ" (65).

- "ماله عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ" (66).

- "لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ" (67).

(57) مجمع الأمثال، الميداني، 140/1، ذكر سابقاً.

(58) خاص الخاص، الثعالبي، 120، ذكر سابقاً.

(59) المستقصى، الزمخشري، 333/1، و قال: قاله أوس بن حارثة لابنه مالك في وصاياه، أي ابدأ بالمعائبة فإن لم تجد فتنّ بالعقوبة. يضرب في النهي عن التسرع إلى الشر.

(60) جمهرة الأمثال، العسكري، 404/1، وقال: قاله أوس بن حارثة لابنه مالك في وصاياه، أي ابدأ بالمعائبة فإن لم تجد فتنّ بالعقوبة. يضرب في النهي عن التسرع إلى الشر.

(61) مجمع الأمثال، الميداني، 613/1.

(62) المصدر نفسه، 324/1، وفسّره بقوله: ذُوَالَةُ: اسم للذئب اشتق من الذألان وهو مشي خفيف ويضرب لمن لا يبالي أي توعّد غيري فإنني أعرفك.

(63) متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، ص156.

(64) مجمع الأمثال، الميداني، 311/2. وقال: الناعية: النعجة والراعية: الناقة أي ماله شيء.

(65) المصدر نفسه، 334/2، وفسّره بقوله: سرحت الماشية: أرسلتها في المرعى فسرحت، والمعنى ماله ما تسرح وتروح أي ماله شيء ومثله كثير.

(66) المصدر نفسه، 290/2 وفسّره بقوله: العافطة: النعجة، والنافطة: العنز، وقال بعضهم: الأفة لأنها انقطت في كلامها، والنافطة: الشاة أي ماله شيء.

15- وزن فَعَالٌ كما في قولهم:

- "سَوَاءٌ لَوَاءٌ" (68).

- "المَالُ مَيَّالٌ" (69).

16- وزن مَفَاعِلٌ كما في قولهم:

- "الدَّرَاهِمُ مَرَاهِمٌ" (70).

17- وزن أَفْعَالٌ كما في قولهم:

- "أَلْقَى عَلَيَّ أَجْرَامَهُ وَأَجْرَانَهُ" (71).

- "عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ" (72).

- "ضَرَبُ أَخْمَاسٍ لِأَسَدَاسٍ" (73).

18- وزن مَفْعُولٌ كما في قولهم:

- "كُلُّ مَبْنُودٍ مَمْلُودٌ" (74).

- "كُلُّ مَمْنُوعٍ مَبْنُوعٌ" (75).

- "المَحْبُوبُ مَسْئُوبٌ" (76).

(67) مجمع الأمثال، الميداني 185/2، قال الأصمعي: الساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان، أي لكل كلمة يخطئ بها الإنسان من يتحفظها فيحملها عنه، وأدخلت الهاء في اللاقطة لازدواج الكلام. يضرب في التحفظ عند النطق، وقيل لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة لأن أداة لقط الكلام الأذن.

(68) المصدر نفسه، 475/1. وقال: هما فعال من استوى والتوى، يضرب للنساء، أي هن يستوين ويلتوين ويجتمعن ويتفرقن ولا يثبتن على حال واحدة. يضرب للمتلون.

(69) المصدر نفسه، 375/2.

(70) المصدر نفسه، 382/1.

(71) من نثر الدر، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص: مظهر الحجّي، منشورات وزارة الثقافة ط1، 1997. 94/4. وقال: الجرم: النفس، الجرن: الجسد أي ألقى عليه هواه.

(72) مجمع الأمثال، الميداني، 649/1، وفسره بقوله: العطو: التناول، الأنواط: جمع نوط وهو كل شيء معلق يقول: هو يتناول وليس هناك معاليق. يضرب لمن يدعي ما ليس يملكه.

(73) جمهرة الأمثال، العسكري 6/2، وقال هو أن يظهر الرجل أن ورده سدس وإنما يريد الخمس. يضرب للمماكرة والخداع.

(74) مجمع الأمثال، الميداني، 139/2، ذكر سابقاً.

(75) المصدر نفسه، 155/2، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة منع 343/8 المنع: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده. مادة تبع 27/8 تبع: القوم تبعاً: إذا مشيت خلفهم.

(76) المصدر نفسه، 375/2، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة سبب 456/1 التساب: التتاسم.

تلك هي أبرز الصيغ الصرفية الشائعة في الكلمات التي تقع موقع الإتياع والمزاوجة في لغة الأمثال المدروسة، وإذا تأملنا البناء العام للمثل أو الهيكل العام له، نجد أنَّ صيغة (أفعل من) هي من أكثر الصيغ التي ترددت في تركيب الأمثال وذلك في نحو قولهم:

- "أبرد من عبقرٍ وحبقرٍ" (77).
- "أثلف من سلف" (78).
- "أتيس من تيس تويت" (79).
- "أحسن من بيضة في روضة" (80).
- "أخب من ضب" (81).
- "أضيع من طاووس في ناووس" (82).
- "أغرب من غراب" (83).
- "أغر من الدباء في الماء" (84).
- "أمضى من ترحة بعد فرحة" (85).
- "أمضى من السيل تحت الليل" (86).
- "أهون من تبنة على لبنة" (87).
- "أهون من ذنب الحمار على البيطار" (88).
- "أهون من صوفة في بوهة" (89).
- "أوسع من هند منذ" (90).

(77) جمهرة الأمثال، العسكري، 210/1.

(78) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 97/1.

(79) المصدر نفسه، 97/1.

(80) التحفة الأدبية، قصير، 180.

(81) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 192/1.

(82) المصدر نفسه، 277/1.

(83) المصدر نفسه، 321/1.

(84) مجمع الأمثال، الميداني، 17/2.

(85) جمهرة الأمثال، العسكري، 185/2.

(86) المصدر نفسه، 185/2.

(87) مجمع الأمثال، الميداني، 483/2.

(88) المستقصى، الزمخشري، 275/1.

(89) جمهرة الأمثال، العسكري، 290/2.

(90) التحفة الأدبية، قصير، 178.

- "أسمع من سمع" (91).

- "أثبت في الدار من الجدار" (92).

- "أغنى عنه من الثقة عن الرقة" (93).

مما تقدّم نلاحظ بجلاء شيوع هذه الصيغة في تركيب المثل، بالمقارنة مع الأمثال المدروسة، وقد تعدّدت آراء الباحثين في أسباب هذا الشيوع، فقد انقسموا بين فريقين، فريقٌ أنكر هذه الصيغة ووجد فيها انتحالاً على المثل العربي، وفريق آخر وجد فيها فائدة مقصودة تخدم مقام المثل.

أمّا الفريق الأول فقد ذهب أحد مؤيديه إلى القول: "ومن الملاحظ كثرة ما جاء من الأمثال العربية على وزن أفعل والتي وصلت عند الميداني إلى تسعمائة وثمانية عشر مثلاً إلاّ أنّه من الراجح عندي أنّ جلّ هذه الأمثال كتابيّة دون مؤخراً ولا يدخل معظمها ضمن المثل الشفاهي... فإنّ كثيراً ممّا ورد من الأمثال على أفعل هو عبارات منتحلة على المثل العربي القديم" (94).

وكذلك يقول آخر: "وزن أفعل... لا يوجد في أية لغة من اللغات السامية حتى الحبشية فهو مرتجل في العربية جديد، فأفعل إذا كان للتفضيل هو أكثر تخصيصاً وتحديداً من بين سائر أبنية الاسم، فاخترع العربية له من علامات ميلها إلى التخصيص والتعيين" (95).

ويرى آخر أنّ "أفعل من ما هو إلّا عبارات قد صنعها الناس لتكون أمثالاً، ولكنّها لم تظفر بالألفة الشعبيّة، ولهذا ظلّ كثير منها حبيس الكتب والمصنّفات" (96).

وأما الفريق الثاني فقد ذهب أحد أنصاره إلى القول:

"استخدم العرب (أفعل) ويراد بها التفضيل كقولهم هذا أكبر من ذاك كأنّ بناء أفعل ممّا يصلح للمثل، ذلك أنّ المثل يقتضي ضرباً من المبالغة وإسناد الصيغة إلى موصوف اتّصفت بها اتّصافاً تاماً، غلب على غيره من الصفات ممّا يقوي هذه المبالغة المعروفة" (97).

ويقول آخر: "الوزن أفعل الذي قد يبدو رقيقاً في الظاهر هو في جوهره نصل حاد لما فيه من قدرة على الحسم وتأتي حسميته من كونه يفصل في المفاضلة بين شيئين لذا كان هذا الوزن هو أداة التفضيل في قواعد اللغة العربية" (98).

(91) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 218.

(92) المستقصى، الزمخشري، 40/1.

(93) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2.

(94) الأمثال العربية، دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، ص 49.

(95) التطوّر النحوي للغة العربية، د. رمضان عبد التواب، ص 105.

(96) الأمثال العربية، دراسة تاريخيّة تحليليّة، د. عبد المجيد قطامش، ص 183.

(97) في الأمثال العربيّة، د. إبراهيم السامرائي، ص 77.

(98) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ص 264.

ويرى آخر أن "من الأمثال يسترعي الانتباه ما كان منها على (أفعل من) فهذا النوع مجال ثري كان الكتاب قديماً يستمدون منه النعوت وذكر الأحوال وذلك إذا قصدوا المبالغة في الوصف... فهو يعرض صفة محمودة اقترنت بإحدى الشخصيات أو يبرز عيباً ونقيصة سلوكية ويرتبط البعض منها بمواقف وأحداث تفسّر سبب وضعها"⁽⁹⁹⁾.

والراجح عندنا أن الأمثال التي جاءت على صيغة (أفعل من) قد تكون أمثالا أصيلة وليست منتحلة كما زعم البعض، ولاسيما أن الميداني أردف كل باب من الأمثال بمجموعة من الأمثال عنونها بقوله (ما جاء منها على أفعل) ثم أردف هذه الأمثال بالأمثال المولدة، فلو كانت تلك الأمثال من المولّد لجعلها المصنّف تحت عنوان واحد ولم يفصل بينها وبين المولّد. ولم يكتفِ المصنّف بذلك، بل وضع تفسيراً لكل منها، وكذلك صنّف بعض المؤلفين مصنفات كاملة جمعوا فيها الأمثال التي جاءت على هذه الصيغة مثل سوائر الأمثال على أفعل للأصفهاني وغيرها، وهذا أيضاً يؤكّد أصالة هذه الصيغة، والصفة الغالبة على هذه الصيغة أنها للمبالغة والمفاضلة بين شيئين وقد ضربت معظمها في الحيوانات كما هو واضح في الأمثال السالفة الذكر، كالضبّ والسمع والغراب والطاووس والحمار... وهذا يعكس قراءة الإنسان لعالم الحيوان، "فالعرب ضربت معظم أمثالهم بالبهائم لشدة مخالطتهم لها، وملاحظاتهم لدقائق الحياة وضروب سلوكها وطباعها وغرائزها فهم أقدر على وصفها وضرب الأمثال بها من علماء اللغة الذين لم يعيشوا معها"⁽¹⁰⁰⁾.

وكذلك تعدّدت الآراء في تفسير سبب شيوع هذه الصيغة في الهيكل العام لغالبية الأمثال حيث قال أحدهم: "إنّ المفاضلة في الأمثال العربية درجات متفاوتة ففي درجة أولى تكون الموازنة بين أنموذج واقعي مستمد من الواقع، ومائل في الواقع للناظرين، صار بمثابة الرقم القياسي وانتصب مثلاً أعلى الواقع، ولكن الواقع في صبوته نحو المثل الأعلى يرقى نحوه فيبلغه بل يتجاوزه... ولجأت الأمثال العربية إلى صيغة أفعل التفضيل للتعبير عن هذا التجاوز"⁽¹⁰¹⁾.

وفسرّه آخر بقوله: "وأزعم أنّ عوامل عدّة كانت وراء انتشار هذه الصيغة خاصة في المثل المكتوب ومن هذه العوامل طبيعة اللغة وما تملكه من أبنية صرفيّة، والمبالغة في الوصف، والتشبيه الذي ألفه العرب في أساليبهم وتعابيرهم ممّا أعطى لهذه الصيغة خاصة — في المثل العربي — اطراداً وقبولاً عند ضارب المثل ومتلقيه"⁽¹⁰²⁾.

(99) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 89.

(100) الأمثال العربية، دراسة تاريخيّة تحليليّة، د. عبد المجيد قطامش، ص 186.

(101) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، ص 12، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، س 18، ع 210 آب 1979 م.

(102) الأمثال العربية، مصطفى أبو العلا، ص 70.

ويمكننا ردّ السبب الرئيسي لشيوع هذه الصيغة في الهيكل العام للمثل إلى ما تتمتع به من إيجاز واختصار في الكلام، لأنها تدل على شيئين في وقت واحد هما وصف الشيء بصفة ما وتفضيله على غيره وفي ذلك يقول أحدهم: "والمثل بجميع أشكاله سواء كان تركيباً إسنادياً تاماً أو تركيباً جزئياً على أفعال من — مضافاً ومنسوباً — يعدّ أداة مذكّرة فهو يفضي في مستوى ضبط مضربه إلى جملة من المعاني النظرية تفوق بكمّ ملفوظها ملفوظه بأضعاف، ثم يفضي في مستوى ثانٍ إلى تجسيد هذه المعاني وتمثيلها عبر قصة أو قصتين تنطوي على دوافع وأطراف ومواقع وتفاصيل ونتائج"⁽¹⁰³⁾.

ومن ناحية أخرى تتمتع هذه الصيغة بقدرة فائقة على الإقناع فتتزل على سمع المخاطب كالسيف القاطع؛ لأنها تفاضل بين شيئين في وقت واحد، فيقف السامع عاجزاً عن الردّ، مقتنعاً بالقيمة الإخبارية التي حملها المثل؛ لأنه يمثل تجربة حياتية يلمسها في بيئته وواقعه، وخاصة أنها أكثر ما قيلت في الحيوانات.

وبعد هذا الغرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1 — شيوع صيغة فعل في الأكثرية العظمى من الأبنية الصرفية التي وقعت موقع الإتياع والمزاوجة، ومجيء هذه الصيغة نكرة يدخلها في باب العموم، ومعنى ذلك أن المثل الذي ضرب ليس خاصاً بأحد الأفراد أو الأشياء، بل هو يصلح لكل زمان ولكل مكان، ويستطيع القائل أن يستشهد فيه في كل مقام يناسبه، وفي ذلك يقول أحدهم: "لقد استفاد الحكيم من العموم الذي تكنه النكرة في عرض الحقائق بحيث تبدو كقاعدة مسلمة ولا تصادم المتلقي"⁽¹⁰⁴⁾.

2 — شيوع صيغة فاعل في الدرجة الثانية من الأبنية الصرفية التي وقعت موقع الإتياع والمزاوجة تليها صيغة فعل في الدرجة الثالثة وفي ذلك يقول أحدهم: "اعلم أن باب فعل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها لأنّ اللفظ إذا خفّ كثر استعماله، واتّسع التصرف فيه، ومما يختص بهذا الباب بضم مضارعه باب المغالبة، ونعني بها أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر، فلا يكون إذن إلا متعدياً نحو كارمني فكرمته أكرمّه: أي غلبته بالكرم"⁽¹⁰⁵⁾.

ومن هذا المعنى نلاحظ مناسبة هذه الصيغة للأمثال، فالمثل تتناقله الألسنة بخفة وسهولة، ومجيئه بهذه الصيغة أعطاه خفة أكبر وقوة في النطق، لأنه يقال في مقام المغالبة، وكأنّ القائل يضع نهاية لمخاطبه بكلمات مثله.

(103) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 72.

(104) الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، محمد جمال صقر، ص 40.

(105) شرح شافيه ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي مع شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، حققهما: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد،

دار الكتب العلمية، (د.ط) 1975 م، 70/1

3 – شيوخ صيغة (أفعل من) في بناء الغالبية العظمى من الأمثال وتركيبها، وذلك يعود إلى ما تتمتع به هذه الصيغة من الإيجاز والاختصار من جهة، ومن قدرة فائقة على الإقناع من جهة ثانية.

ثانياً: الخروج على الأصول الصرفية:

من خلال دراستنا لهذه المجموعة من الأمثال العربية، وقفنا على بعض الأمثال التي شذت عن الأصول القواعدية الصرفية، فأفردناها تحت هذا العنوان، أما علة شيوع هذه الأمثال بهذه الصيغة الشاذة فنجد له تفسيراً عند أحد الباحثين حيث يقول: "الأمثال كالشعر، يتحملان الضرورات، ويُتسامحُ فيهما مالا يُتسامح في غيرهما من أنواع الكلام" (106).

ونحن من جهة أخرى نرى أن هذه الروايات التي ظهر فيها خروج على الأصول الصرفية يمكننا تفسيرها بأنّ قائل المثل لم يكن فصيحاً في معظم الأحيان، فقد يكون المثل قد دخل تحت لهجة من اللهجات العربية القديمة وبخاصة قليلة الانتشار منها وهذا ما أدى إلى شيوعه بهذه الصيغة يقول في ذلك أحد الباحثين: "لكل لهجة خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية التي تخالف خصائص الأخرى وإن كانت جميع هذه الخصائص تقع ضمن الإطار العام لخصائص العربية الفصحى" (107).

وفيما يلي عرض لأبرز الأمثال التي تجلّت فيها مظاهر الخروج على الأصول الصرفية:

- 1- ملاحظة بعض الجموع الشاذة في لغة الأمثال المدروسة من ذلك قولهم:
— "أجناؤها أبناؤها" (108).

ينقل الميداني عن أبي عبيد قوله: الأجناء هم الجناة، والأبناء البناة، والواحد بان وجان، ويضيف: هذا جمع عزيز في الكلام أن يجمع فاعل على أفعال، ويعلق آخر فيقول: "أجناؤها أبناؤها" فيه شذوذ وخروج عن قياس اللغة من حيث إنّ أجناء جمع جان وأبناء جمع بان كما يدل عليه أصل المثل، وصيغة فاعل قياسها ألا تجمع على أفعال" (109)، ومما سبق نرى الشذوذ في مجيء فاعل على وزن أفعال جمعاً، وقد يكون التماثل الموسيقي هو الذي دفعهم إلى هذا الخروج، ومن جهة أخرى يمكننا تفسير هذا الشذوذ كما ذكرنا آنفاً باختلاف اللهجات العربية القديمة يقول أحد الباحثين: "أهل

(106) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص 208.

(107) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات، 1978م، ص 49.

(108) مجمع الأمثال، الميداني 231/1، وفسره بقوله: معنى المثل أنّ الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين عمروها بالبناء يضرب في سوء المشورة والرأي، وللرجل يعمل الشيء بغير روية ثم يحتاج إلى نقض ما عمل وإفساده.

(109) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، ص 210.

الحجاز يجمعون كلمة أسير على أسرى⁽¹¹⁰⁾. ويقول آخر: "ذكر ابن سيدة أن أهل الحجاز يجمعون شائب وشيُوب على شَيْب، وأنهم يقولون دجاجة بَيُوض ودجاج بِيُض"⁽¹¹¹⁾.

وكذلك قولهم: "إني لآتيه بالعشايا والغدايا"⁽¹¹²⁾ يقول أبو عكرمة: "جمعوا الغداة غدايا إتباعاً للفظ عشايا والغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم كسّروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا"⁽¹¹³⁾. وقال آخر: "إنما جاءت الياء في غدايا لتناسب عشايا، والصواب أن الذي فعل للازدواج إنما هو جمع غداة على غدايا"⁽¹¹⁴⁾.

ومن جهة أخرى نجد من يُفسّر هذا الشذوذ تفسيراً صرفياً قواعدياً حيث يقول: "إن أصل عشايا عشاو بواو هي لامها، وتلك الواو بعد همزة منقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف، كما فعلوا في صحارى وغازى إلا أنهم التزموا التخفيف في الجمع الذي أعلت لامه وقبلها همزة، لأنه أثقل، ثم انقلبت اللام ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت الهمزة تخفيفاً لاجتماع الأشباه، إذ الهمزة تشبه الألف وقد وقعت بين ألفين ثم لما جمعت غداة على فعائل للمناسبة وكان كل شيء جمع على فعائل ولامه همزة أو ياء أو واو لم تسلم في الواحد مستحقاً لأن تبدل همزته كخطايا ووصايا ومطايا كما فعلوا ذلك في غدايا"⁽¹¹⁵⁾. فهنا نرى أن قائل المثل وآخرين قد أجمعوا على أن الشذوذ هنا إنما جاء للازدواج مع الكلمة المزوجة وتحقيق التوافق والانسجام بينهما.

2- ورود بعض الأبنية الشاذة في بعض الأمثال من مثل قولهم:

- "سواء لواء"⁽¹¹⁶⁾.

يقول الميداني:

"سواء لواء وزنها فعّال وفعلهما استوى والتوى ومن الشذوذ بناء فعّال من غير الثلاثي: وهذا شاذ"⁽¹¹⁷⁾.

3- ملاحظة حذف بعض الحروف شذوذاً من بعض الكلمات لمراعاة الازدواج الموسيقي ومن

ذلك قولهم:

(110) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 168.

(111) لغة قریش، مختار سيدي الغوث، ص 153.

(112) كتاب الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص 28.

(113) المصدر نفسه، ص 28.

(114) درة الغواص في أوام أهل الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، ص 80.

(115) المصدر نفسه، ص 80.

(116) مجمع الأمثال، الميداني 1/ 475، ذكر سابقاً.

(117) المصدر نفسه، 1/ 475.

- "صنعة من طب لمن حب" (118).

والأصل فيه لمن أحب ولكن حذفت الهمزة لمراعاة الازدواج مع الكلمة الثانية طبّ ويقول الميداني: "وهذا وإن صح شاذ نادر لأنه لا يجيء من باب فعل يفعل بكسر العين في المستقبل من المضاعف فعل يتعدى إلا أن يشركه يفعل بضم العين نحو نم يُنم ويَنمُ وشدّ الشيء يشدّه ويشدّه، وحبّه يحبّه جاءت وحدها شاذة لا يشركها يفعل بالضم" (119) ويمكننا من جهة أخرى ردّ هذا الشذوذ إلى اللهجات العربية القديمة واختلافها يقول أحد الباحثين: "جنحت تميم في طائفة من الأفعال إلى استعمال بناء (أفعل) وجنح غيرها من العرب إلى استعمال بناء (فعل)" (120). ويقول آخر: "أهل الحجاز يقولون بتّ ثلاثياً في أبتّ القضاء... فأهل الحجاز يخالفون تميماً في أمرين: يستعملون الفعل ثلاثياً، غير مهموز، وتهمزّه تميم وتجعله رباعياً" (121).

4- ملاحظة صياغة اسم التفضيل من اسم وحقّه أن يصاغ من الفعل من مثل قولهم:

- "أسمع من سمع" (122).

والسمّع: "سبع مركّب لأنه ولد الذئب من الضبع وفي المثل أسمع من السّمع الأزّل وربما قالوا: "أسمّع من سمع" (123) ويقول الميداني: والسمع كالحية لا يعرف الأسقام والعلل، وليس شيء من دون الحيوان عدوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير وهنا صيغ اسم التفضيل من اسم وهو قولهم سمع فخالفت بذلك قياس النحاة ويمكننا إدراج ذلك أيضاً تحت باب الاشتقاق من جوامد.

- "أتيس من تيوس تويت" (124).

فهنا صيغ اسم التفضيل من اسم هو التيس "أي الذكر من المعز" (125).

- "أغرب من غراب" (126).

(118) مجمع الأمثال، الميداني، 551/1. فُسّر سابقاً.

(119) المصدر نفسه، 551/1.

(120) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 180.

(121) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 282.

(122) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 218/1، وفسّره بقوله: السّمع مركّب لأنه ولد الذئب من الضبع و السّمع كالحية لا يعرف الأسقام والعلل ولا يموت حتف أنفه بل يموت بعرض من الأعراض.

(123) لسان العرب، ابن منظور، مادة سمع، 167/8.

(124) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 97/1، وفسّره بقوله: هذا مثل حكاة محمد بن حبيب، وتويت قبيلة من قبائل قريش وهو تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى.

(125) لسان العرب، ابن منظور، 33/6 مادة تيس.

(126) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 321/1.

وهنا أيضاً صيغ اسم التفضيل من اسم هو الغراب "والغراب: هو الطائر الأسود والعرب تقول:
أبصر من غراب وأحذر من غراب وأزهي من غراب وأشد سواداً من غراب"⁽¹²⁷⁾.

5- ومن الشذوذ أيضاً تأنيث المذكر ومن ذلك قولهم:

— "حرّة تحت قرّة"⁽¹²⁸⁾.

الحرّة: العطش وهي مأخوذة من الحرارة، والقرّة: البرد ويقال كسر الحرّة لمكان القرّة، قالوا
وأشدّ العطش ما يكون في يوم بارد ويضرب لمن يضرر حقداً وغيظاً ويظهر مخالصته. فهنا نرى أن
القائل قد ألحق تاء التأنيث بكلمتي (حر، قر) وهما البرد والعطش فأنت ما حقه التنكير شذوذاً.

— "لقيته صحرة بحرة"⁽¹²⁹⁾.

أي خالياً ليس بيني وبينه حاجز، وهما اسمان جعلاً اسماً واحداً، وأصل صحرة: من الصحراء
وهو الفضاء وأصل بحرة من البحر وهو الشق الواسع ومنه سمي البحر لأنه شق من الأرض. فهنا
نرى أن القائل قد أنت ما حقه التنكير وهو قوله (بحرة) حيث ألحق علامة التأنيث وهي التاء بالبحر
وهو مذكر وذلك لتحقيق الازدواج مع الكلمة الأخرى، وإلى جانب الازدواج يمكننا تفسير هذا الشذوذ
باندراجة ضمن اللهجات العربية القديمة إذ: "إن الجنس المميز واحده بهاء التأنيث يذكر في لغة تميم
ويؤنث في لغة أهل الحجاز"⁽¹³⁰⁾. و"النثر في كلام القرشيين ظهور التأنيث فيه أحسن حالاً منه في
الشعر، من ذلك التمر نسب إليهم تأنيثه، والنحل نسب الأخفش تأنيثه إلى أهل الحجاز وقال إن غيرهم
يقول هو النحل، إلا أن غيره من اللغويين ذكر أنه مؤنث قولاً واحداً"⁽¹³¹⁾.

وكذلك قولهم: "خشّ ذؤالة بالحبالة"⁽¹³²⁾ هنا كذلك نلاحظ تأنيث كلمة (حبالة) وحققا التنكير،
والتأنيث هنا جاء لمزاوجة الكلمة الأخرى ذؤالة.

6- ومن الشذوذ أيضاً تذكر المؤنث ومن ذلك قولهم:

— "إذا جاء الحين غطى العين"⁽¹³³⁾.

(127) لسان العرب، ابن منظور، مادة غرب، 1/645.

(128) مجمع الأمثال، الميداني، 1/274، ذكر سابقاً.

(129) المصدر نفسه، 2/189.

(130) لهجة تميم، غالب المطليبي، ص 280.

(131) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 175.

(132) مجمع الأمثال، الميداني، ص 324 وفسره: الذؤالة: اسم للذئب اشتق من الذألان وهو مشي خفيف ويضرب لمن

لا يبالي تهذه، أي توعد غيري فأني أعرفك.

(133) كتاب الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص 326.

وقد فسرهُ أبو عبيد بقوله: وقد يروى نحو هذا اللفظ عن ابن عباس إذا جاء القدر غشي البصر.

وفي رواية أخرى جاء المثل:

— "إذا جاء الحين حار العين" (134).

والحين هنا هو الأجل، وحار تحير "ولم يقولوا هاهنا حارت العين لتقدم الفعل الفاعل ولأن الاسم المؤنث الذي لا علم فيه للتأنيث وليس تأنيثه حقيقةً ربّما ذكر مثل العين والأذن والسماء والأبد" (135).

فقد فسر لنا العسكري هذا الشذوذ، ويعكس تفسيره علاقة هذه الظاهرة باللهجات العربية القديمة والاختلاف فيما بينها. فهنا نرى أنّ القائل — في روايتين مختلفتين — قد ذكر ما حقه التأنيث وهو العين. وفي ذلك يقول أحدهم: "السماء مؤنث في لغة أهل الحجاز وواحدة سماوة ويذكر عند التميميين وأهل نجد" (136)، ومما يؤكد لنا اندراج هذا الشذوذ تحت اللهجات العربية القديمة ورود الكلمة ذاتها (العين) مؤنثة في مثل آخر وهو قولهم:

— "هين لين وأودت العين" (137).

وقد قالت امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودّت وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل.

"وتختلف اللغات في (زوج) فالحجازيون يسوون فيها بين المذكر والمؤنث، فلا يضيفون إليها تاءً، ويفصل التميميون بين المذكر والمؤنث بالتاء والفصل هو الأكثر" (138).

وبعد هذا العرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1. إن مظاهر الخروج على الأصول الصرفية تعود في معظمها إلى مراعاة الازدواج مع الكلمة المزوجة، ومن جهة أخرى تعود إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة، وتحمل الأمثال للضرورات، فهي كالشعر.

2. أبرز مظاهر الخروج على الأصول الصرفية انحصرت في بعض الجموع الشاذة وخروج اسم التفضيل عن قاعدته في صياغته من الاسم شذوذاً، وحذف بعض الحروف لمراعاة الازدواج، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، والشذوذ في البناء.

(134) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1.

(135) المصدر نفسه، 106/1.

(136) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 279.

(137) كتاب الأمثال، المفضل الضبي، ص 172.

(138) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 185.

ثالثاً: تعدد الروايات في الأمثال:

من خلال دراستنا لهذه المجموعة من الأمثال العربية، لاحظنا تعرض بعض الأمثال لضروب من التغيير، نجم عنه أن روي المثل بروايات متعدّدة، ولا عجب في ذلك، فالأمثال من أكثر أنواع الكلام تداولاً بين الناس واستخداماً، ولقد اتخذ هذا التغيير صوراً شتى منها ما أصاب بنية الكلمة وصيغتها، ومنها استبدال كلمة بأخرى، ومنها التقديم والتأخير و الذكر والحذف في ألفاظ المثل. وقد تعدّدت الآراء والمواقف بين اللغويين في تفسير أسباب هذه الظاهرة، فقد أرجعها أحدهم "إلى أمية العرب، وكثرة التداول، واختلاف اللهجات والرواية بالمعنى، والتقارب في مخارج بعض الحروف، والاختلاف في أصل المثل والتصحيح والتحريف"⁽¹³⁹⁾. في حين أرجعها آخر إلى "تشابه صور بعض الحروف العربية، وإهمال النقط في بداية الأمر ثم كثرته، ووجود الحركات، واختلاف الخط بين مشرقي ومغربيّ، والنّسخ أو الورّاقين، والقياس الخاطئ، وكذلك اتفق مع سابقه في كثرة اللهجات والتقارب في مخارج بعض الحروف"⁽¹⁴⁰⁾.

بينما أرجعها آخر إلى الضغوط الاجتماعية حيث يقول: "وفي كلّ الأحوال، يخضع الحفظ الشفاهي حرفياً كان أو غير حرفي للتغير نتيجة للضغوط الاجتماعية المباشرة"⁽¹⁴¹⁾.

أما نحن فنرى أن تعدد الروايات في الأمثال لا يخرج عن أحد الأسباب التالية:

كثرة التداول، الاختلاف في نص المثل، الرواية بالمعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف أو السماع الخاطيء، المجالس والمحاورات.

1. كثرة التداول: هناك أمثال عثرنا عليها ضمن مجموعة الأمثال المدروسة، وقد جاءت بثلاث روايات مختلفة بين مصدرين أو ثلاثة، ومن ذلك قولهم:
— "أنت مرّة عيش ومرّة جيش"⁽¹⁴²⁾.

أما الرواية الثانية فقولهم: — "مرّة عيش ومرّة جيش"⁽¹⁴³⁾.

(139) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص 217.

(140) قضية التصحيح في التراث العربي، دراسة بعض جهود العلماء العرب في صيانة العربية، د. سمير كجّو، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1989م، ص45-60.

(141) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 157.

(142) مجمع الأمثال، الميداني، 64/1. وفسّره بقوله: أي أنت ذو عيش، ومرّة دوجيش، قيل: إنّ أصله أن يكون الرجل مرة في عيش رخي ومرة في شدة.

(143) جمهرة الأمثال، العسكري، 217/2. يقول: أحياناً شدة، وأحياناً رخاء.

فهنا جاء المثل بروائيتين مختلفتين الأولى بضمير المخاطب (أنت) أي المثل موجه إلى مخاطب ومرة جاء مجرداً من الضمير، وهنا نرى أنّ الثنائية في الرواية الثانية قد تركت أثراً أكبر من الرواية الأولى، فهي تتدرج من جهة ضمن الاقتصاد اللغوي باعتبار المثل موجهاً إلى مخاطب فلا داعي لذكر الضمير الدال على ذلك، ومن جهة أخرى كان لها دور في تحقيق التوافق الموسيقي والانسجام والإيقاع أكثر من الرواية الأولى وهذا ما كان له أبلغ الأثر في حفظ المثل كما أسلفنا سابقاً.

وكذلك قولهم: — "جاء بأمّ الربيق على أريق" (144).

والرواية الثانية قولهم: — "جاء الربيق على أريق" (145).

وهنا كذلك نلاحظ الاختلاف بين روايتين لمثل واحد، جاءت الأولى بورود لفظة (أم) بينما جاءت الثانية مجردة منها، والذي جعلنا ندرج هذا المثل ضمن هذا السبب، وهو كثرة التداول، إشارة القائل إلى أم الربيق وتفسيره لمعناها في كلمات المثل وإغفاله لذكرها في أصل المثل، وهذا ما يمكن إرجاعه أيضاً إلى الاقتصاد في المجهود الذهني لعلم المخاطب به.

وكذلك قولهم:

— "ما يعرف من يهره ممّن يبرّه" (146).

— "ما يعرف هراً من برّ" (147).

وهنا نلاحظ أيضاً مجيء المثل بروائيتين مختلفتين لمعنى واحد، حيث وردت الأولى بصيغة فعلية (يهره، يبرّه) بينما جاءت الثانية بصيغة اسمية (هراً، برّ) وهذا ما يمكن إدراجه أيضاً ضمن الاقتصاد في الجهد فالصيغة الاسمية تألفت من مقاطع أقل من الصيغة الفعلية، ومن جهة أخرى جاءت الصيغة الثانية محققةً الازدواج والتوافق أكثر من الصيغة الأولى، نظراً للاختصار في عدد الكلمات والحروف.

وكذلك قولهم: — "اسع بجدك لا بكذك" (148).

والرواية الثانية قولهم: — "جدك لا كذك" (149).

(144) مجمع الأمثال، الميداني، 233/1. ذكر سابقاً.

(145) جمهرة الأمثال، العسكري، 47/1. وفسره بقوله: قيل هو من قول رجل رأى الغول على جمل أورك. وأمّ الربيق: الداهية.

(146) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3. وقال: يهره: يكرهه، يضرب في استجهال الرجل ونفي العلم عنه.

(147) من نثر الدر، الآبي، 109/4. لم يذكر حول معناه شيء.

(148) المستقصى، الزمخشري، 168/1. وقال: يضرب في فوز المجدود بمساعيه دون غيره.

(149) مجمع الأمثال، الميداني، 237/1. وقال: وكذلك يروى بالرفع على معنى جدك يغني عنك لا كذك. ويروى الفتح أي ابغ جدك لا كذك.

وهنا نرى الاختلاف في المثل بين الروائيتين جاءت الأولى بصيغة الأمر والثانية بصيغة التوكيد، ولكن قائل المثل أشار في الصيغة الثانية إلى أن معنى المثل ابغ جدك لا كدك، وهو ما تحمله الرواية الأولى للمثل من معنى، فهنا يمكننا تصنيف ذلك أيضاً ضمن الاقتصاد اللغوي فالقائل في الرواية الثانية قد حذف فعل الأمر لعلم المخاطب به، ابتغاء الاقتصاد في المجهود العضلي، والدليل على ذلك نص القائل في الرواية الثانية أن المثل يمكن أن يروى بالفتح.

وكذلك قولهم: — "الهيبة من الخيبة" (150).

وقولهم: — "قرنت الهيبة بالخيبة" (151).

ونرى هنا أيضاً أن المثل قد جاء بروائيتين مختلفتين حملت الأولى صيغة تقريرية اسمية والثانية حملت صيغة فعلية وهذا ما يمكن إدراجه أيضاً ضمن الاقتصاد في المقاطع.

ومن ذلك قولهم: "هو بين حاذق وقاذف" (152).

وكذلك قولهم: — "الناس بين خاذف وقاذف" (153).

وكذلك قولهم: — "بقينا بين كل حاذف وقاذف" (154).

وهنا نلاحظ الاختلاف بين ثلاث روايات لمثل واحد، فقد جاءت الروائتان الأولى والثانية متفقتين في الصيغة الاسمية، بينما جاءت الصيغة الثالثة فعلية بصيغة المتكلم، وهذا ما يؤكد اختلاف المثل في روايته بكثرة التداول، فالمعنى واحد وأساليب التعبير مختلفة.

ومن الأمثال التي لاحظنا فيها اختلافاً بكثرة التداول قولهم:

— "أغنى عنه من الثقة عن الرقة" (155).

وأما الرواية الثانية فقولهم: — "أغنى عن الشيء من الثقة عن الرقة" (156).

(150) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2. ويروى الهيبة خيبة يعني إذا هبت شيئاً رجعت منه بالخيبة.

(151) المستقصى، الزمخشري، 197/2.

(152) مجمع الأمثال، الميداني، 462/2. ذكر سابقاً.

(153) المجهول، ص 41. وفسره بقوله: أي خاذف بعضاً أو قاذف بصخرة. أي هم في شر ومكروه عظيم ويروى خاذف بالحاء (خاذف).

(154) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 75/2. ذكر سابقاً.

(155) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2. وفسره بقوله: الثقة: هي السبع الذي يسمى عناق الأرض، والرقة: التبن ويقال دقاق التبن. والأصل فيهما تفهة ورفهة. وجمعها تقات ورفات. ويقال في مثل آخر استغنت الثقة عن الرقة وذلك أن الثقة سبع بقات الرقة وإنما يغتذي باللحم فهو يستغني عن التبن.

(156) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 321/1. وفسره بقوله: الثقة: السبع الذي يسمى عناق الأرض، والرقة: التبن.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "أغنى عن ذا التفة عن الرفة"⁽¹⁵⁷⁾.

فهنا نلاحظ تعدد الروايات في هذا المثل أيضاً لتصل إلى أربع روايات بعد إشارة الميداني إلى مجيئه برواية: استغنت التفة عن الرفة، وهذا ما يؤكد تعدد هذه الروايات لكثرة تداولها على الألسنة فالمعنى واحد والتعبير مختلف، واختلاف التعبير هنا يعود في الغالب إلى سعي القائل وراء السهولة واليسر في النطق والاقتصاد قدر الممكن من المجهود في إيصال المعنى.

ومن الأمثال أيضاً قولهم:

— "أنا تنق وصاحبي منق، فكيف نتفق"⁽¹⁵⁸⁾.

وكذلك قولهم: — "أنت تنق وأنا منق فمتى نتفق"⁽¹⁵⁹⁾.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "أنا تنق وأنت منق فكيف نتفق"⁽¹⁶⁰⁾.

وهنا نلاحظ كذلك تعدد الروايات في مثل واحد لتصل إلى ثلاثة، وقد تنوعت بين استفهامية واسمية. وقد اتفقت الروايات الثلاث في المعنى.

وهذا يمكن تصنيفه تحت كثرة التداول والاتجاه إلى التيسير والسهولة والاقتصاد في اللفظ والمقطع فالفرق واضح بين قولنا (أنا منق، وصاحبي منق) من حيث المعنى والمبنى والمقاطع.

2. الاختلاف في نص المثل:

ومن ذلك قولهم:

— "السراح من النجاح"⁽¹⁶¹⁾.

(157) المجهول، ص 35. التفة: دويبة تأكل اللحم، والرفة: النبن.

(158) جمهرة الأمثال، العسكري، 96/1. وفسره بقوله: التثق: السريع إلى الشر، والتثق: السريع البكاء، ويضرب مثلاً لسوء الموافقة في الأخلاق. وقالوا التثق: الممتلئ غضباً، يقال أتأقت الإناء إذا ملأته، والمثق: القليل الاحتمال، الجزوع من أدنى مكروه.

(159) مجمع الأمثال، الميداني، 64/1. وذكر الميداني: قال أبو عبيد: التثق: السريع إلى الشر، والمثق: السريع إلى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقاً.

(160) زهر الأكم، اليوسي، 85/1. وفسره بقوله: التثق: الممتلئ غضباً وأصله في الإناء. يقال: تنق الإناء يتأق إذا امتلأ وأتأفته أنا ملأته. ويقال التثق: السريع إلى الشر، ويقال هو الحديد والمثق: الباكي يأخذه شبه الفواق عند البكاء والنشيج. يضرب للمتخالفين خلقاً.

(161) مجمع الأمثال، الميداني، 463/1. يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة، أي ينبغي أن تؤسبه منها إذا لما تقض حاجته.

— "الشراح من النجاح" (162).

فهنا نلاحظ إشارة العسكري في الرواية الثانية إلى الرواية الأولى، والروايتان مختلفتان في المعنى وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص المثل.

ومن ذلك قولهم أيضاً:

— "البلايا على الحوايا" (163).

— "المنايا على البلايا" (164).

— "المنايا على الحوايا" (165).

— "المنايا على السوايا" (166).

وهنا نلاحظ مجيء المثل بأربع روايات مختلفة في المعنى وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص المثل أو روايته.

ومن ذلك قولهم: — "من حفنا أورفنا فليقتصد" (167).

أما الرواية الأخرى فقولهم: — "من حفنا أورفنا فليترك" (168).

(162) جمهرة الأمثال، العسكري، 463/1. وفسره بقوله: أي أعطني أو اشرح لي وجه اليأس فأنصرف، ويروي السراح وهو أن يسرحه ولا يحبسه.

(163) مجمع الأمثال، الميداني، 148/1. ذكر سابقاً. وهنا نذكر به: الحوية والسوية كساء يحشى بالثمام ونحوه ويدار حول سنام البعير.

(164) جمهرة الأمثال، العسكري، 219/2. وقال: مثل للقوم الرديئة حالهم الشديدة شوكتهم، والبلية: الناقة يغطي وجهها وتشد على قبر صاحبها إذا مات. لا تسق ولا تعلف حتى تموت، وكانوا يقولون إذا فعلوا ذلك يركبها صاحبها في عرضة القيامة.

(165) المصدر نفسه، 219/2. وقال: مثل للقوم هلاكهم وأصله أن قوماً قتلوا وحملوا على الحوايا وهي مراكب النساء واحدها حوية.

(166) مجمع الأمثال، الميداني، 336/2. قال الميداني: يقال إن المثل لعبيد بن الأبرص قاله حين استنشده النعمان بن المنذر يوم يؤسه. قال أبو عبيد: يقال إن الحوايا واحدها حوية، وأحسب أن أصلها قوم قتلوا فحملوا على الحوايا فصارت مثلاً. يضرب عند الشدائد والمخاوف.

(167) المصدر نفسه، 344/2. يجوز أن يكون حفنا من حفّت المرأة وجهها إذا أزلت ما عليه من الشعر تزييناً وتحسيناً. ورفنا: من رف الغزال ثمر الآراك أي تناوله يريد من تناولنا بالإطراء أوزاننا به فليقتصد.

(168) مجمع الأمثال، الميداني، 344/2. وهذا قول امرأة زعموا أن قوماً كانوا يعطفون عليها ويتنفعونها، فانتبهت يوماً إلى نعمة قد عصب بصعرورة، والصعرورة: صمغة دقيقة ملتوية طويلة. فألفت عليها ثوبها وغطت بها رأسها، ثم انطلقت إلى أولئك القوم فقالت من كان يحفنا أويرفنا فليترك لأنها زعمت أنها استغنت بالنعامة. ثم رجعت فوجدت النعمة قد أساغت الصعرورة وذهبت بالثوب. يضرب لمن يبطره الشيء اليسير ويثق بغير الثقة.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفر" (169).

فهنا نلاحظ اختلاف المعنى بين هذه الروايات وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص أو رواية المثل.

ومن ذلك قولهم:

— "إذا جاء الحين حار العين" (170).

— "إذا جاء الحين غطى العين" (171).

— "إذا نزل الحين نزل بين الأذن والعين" (172).

وهنا نرى مجيء المثل بثلاث روايات مختلفة في المعنى، وهذا ما جعلنا ندرجه كذلك تحت الاختلاف في رواية المثل.

3. الرواية بالمعنى: ومن ذلك قولهم:

— "صغراها مرّاه" (173).

— "صغراهنّ مرّاهنّ" (174).

— "صغراهنّ شراهنّ" (175).

فهنا نرى الاختلاف بين ثلاث روايات لمثل واحد، والملاحظ ميل القائل إلى إبدال الكلمة بكلمة أخرى على نفس الوزن والإيقاع، وتحمل المعنى ذاته في هذه المجموعة، فقد أشارت الرواية الثانية إلى أنّ معنى مرّاهنّ أدهاهنّ وجاءت الرواية الثالثة لتؤكد هذا المعنى بقوله شراهنّ، فالقائل كان يسعى إلى المحافظة على الوزن والموسيقا، وإلى مراعاة المعنى إلى جانب المبنى.

(169) مجمع الأمثال، الميداني، 360/2. وقال الميداني: يضرب في موضع من كان يحفنا أو يرفنا فليترك وقوله فليتفر من الوفّر.

(170) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1. وفسّره بقوله: الحين: الأجل ويقال: حار وتحير.

(171) الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلّام، ص 326. وقال: قد يروى نحو هذا اللفظ عن ابن عباس وهو قوله: إذا جاء القدر غشي البصر.

(172) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3. لم يذكر حول معناه شيء.

(173) أمثال العرب، المفضل الضبيّ، ص 168.

(174) المصدر نفسه، ص 168. زعموا أنّ امرأة، كانت بغياً تؤاجر نفسها، وكان لها بنات فخافت أن يأخذن مأخذها، فكانت إذا غدت في شأنها قالت: احفظنّ أنفسكنّ وإياكنّ أن يقربكنّ أحد. فقالت إحداهنّ: تنهانا أمنا عن الغي وتغدو فيه. فذهبت مثلاً. فقالت الأم: صغراهنّ مرّاهنّ. أي أنكرهنّ وأدهاهنّ.

(175) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1. ذكر سابقاً.

ومن ذلك قولهم: — "عاشرينا وأخبرينا"⁽¹⁷⁶⁾.

وأما الرواية الثانية فقولهم: — "جاورينا وأخبرينا"⁽¹⁷⁷⁾.

وهنا أيضاً نرى الاختلاف بين روايتين من حيث الشكل واتفاقهما من حيث المضمون والمعنى. فقد حملت الرواية الثانية (جاورينا) معنى الرواية الأولى (عاشرينا). والإبدال جاء هنا مناسباً للوزن والموسيقا، فالقائل كان يقصد ذلك فقد أبدل كلمة بأخرى مع محافظته على الإيقاع والموسيقا، ومحافظته على المعنى.

ومن ذلك قولهم:

— "ألصق الحسّ بالإس"⁽¹⁷⁸⁾.

— "ألحق الحسّ بالإس"⁽¹⁷⁹⁾.

هنا نرى كذلك الاختلاف بين روايتين من حيث الكلمات، واتفاقهما من حيث المعنى فقد أبدل القائل كلمة بكلمة مع محافظته على الوزن ذاته فألصق على وزن ألحق ونرى كذلك الاتفاق في الحروف للمحافظة على الوزن والإيقاع، لأن ألصق تحمل معنى ألحق.

وكذلك قولهم:

— "جئني به من حسك وبسك"⁽¹⁸⁰⁾.

— "أيت به من حسك وبسك"⁽¹⁸¹⁾.

فهنا نلاحظ كذلك مجيء المثل بروايتين مختلفتين ومتفقتين معنىً، فالرواية الأولى تحمل معنى الرواية الثانية بدليل إشارة قائل المثل إلى ذلك في تفسيره، وكذلك صرح قائل الرواية الثانية بأنه يتكلم

(176) المستقصى، الزمخشري، 2/156. وفسره بقوله: كان رجلان يتعشقا امرأة، وأحدهما جميل والآخر دميم، فكان

الجميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، ويقول الدميم: عاشرينا وأخبرينا.

(177) مجمع الأمثال، الميداني، 1/224. وفسره: كان رجلان يعشقان امرأة، وكان أحدهما جميلاً وسيماً، وكان الآخر

دميماً تقتحمه العين، فكان الجميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، وكان الدميم يقول جاورينا وأخبرينا فكانت تدني الجميل.

(178) جمهرة الأمثال، العسكري، 1/131. ذكر سابقاً.

(179) مجمع الأمثال، الميداني، 2/203. ذكر سابقاً.

(180) المصدر نفسه، 1/236. وقال أيضاً: ويروى من عسك وبسك أي ائت به على كل حال من حيث شئت. وقيل

الحسّ: من الإحساس، والبس: التفريق. يقال بسست المال في البلاد أي فرقته والمعنى من حيث تدركه بحاستك

أي من حيث تبصره، وبسك: أي من حيث تركه برفقك، من أبس بالناقاة إذا رفق بها عند الحلب أو من حيث انبست

أي تفرقت. يضرب في استفراغ الوسع في الطلب حتى يعذر.

(181) الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، 232.

به العوام من الناس وهذا يجعلنا نجزم باندراج هذا المثل تحت الرواية بالمعنى، فكلمة العوام أي الطبقة غير المتقفة، فهنا أبدل القائل كلمة بكلمة مع محافظته على المعنى.

وكذلك قولهم:

— "ثاب حابلهم على نابلهم" (182).

— "ثار حابلهم على نابلهم" (183).

كذلك نلاحظ هنا مجيء المثل بروايتين مختلفتين لفظاً ومتفقتين معنىً، فالرواية الثانية تحمل معنى الرواية الأولى بدليل إشارة القائل إلى ذلك في تفسير للمثل، فالقائل هنا أبدل كلمة بكلمة لها نفس الوزن والإيقاع لتحقيق الانسجام الصوتي مع محافظته على المعنى فثاب تحمل معنى ثار.

4. اختلاف اللهجات بين القبائل العربية:

يقول ابن جني: "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لهجات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد" (184). وذكر ابن جني أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل: الذرح والدرج والذريح والذراح والذرح والذرنوح (185).

ومن الأمثال التي جاء فيها اختلاف في اللهجات قولهم:

— "عين عرفت فذرفت" (186).

— "عين عرفت فذارفت" (187).

— "بعد الهييط والمييط" (188).

— بعد الهياط والمياط" (189).

وهنا نرى كذلك مجيء المثل بروايتين تمثل كل رواية لهجة قبيلة من القبائل. فالملاحظ أن بعض القبائل تؤثر المد، والأخرى تتجنبه.

(182) المجهول، ص 52. وفسره: الحابل: ذو الحبال، والنبل: ذو النبل أي اجتمعوا على إنقاذ الشر.

(183) مجمع الأمثال، الميداني، 211/1. وفسره بقوله: الحابل: صاحب الحبال، والنابل: صاحب النبل، أي اختلط

أمرهم ويروى ثاب أي أوقد الشر إيقاداً. يضرب في فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم.

(184) الخصائص، ابن جني، 374/1.

(185) المصدر نفسه، 373/1.

(186) مجمع الأمثال، الميداني، 627/1. وقال: يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته.

(187) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3. ذكر المعنى نفسه.

(188) مجمع الأمثال، الميداني، 140/1.

(189) المصدر نفسه، 140/1. وقال: الهياط: الصباح، والمياط: الدفع. أي شدة وأذى.

ومن ذلك قولهم:

— "لا دريت ولا انتليت" (190).

— "لا دريت ولا تليت" (191).

— "لا دريت ولا أليت" (192).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بثلاث روايات مختلفة اللهجات إحداها تؤثر الهمز، والأخرى تسهله، والثالثة تؤثر الهمز مع التشديد، يقول أحد الباحثين: "التميميون يقولون جبرئيل وميكائيل وأهل الحجاز يقولون جبريل وميكال" (193).

وكذلك قولهم:

— "رهبوت خير من رحموت" (194).

— "رهبوتي خير من رحموتي" (195).

وهنا نلاحظ أيضاً مجيء المثل بروائيتين، تمثل كل رواية لهجة من اللهجات العربية.

وكذلك من اللهجات قولهم:

— "لا يعرف الحي من اللي" (196).

— "ما يعرف الحومن اللو" (197).

هنا نلاحظ مجيء المثل بروائيتين، تمثل كل رواية لهجة قبيلة من القبائل العربية.

(190) الوسيط في الأمثال، الواحدي، ص 186. وفسره بقوله: معناه لم تعلم ولم تقصر في الطلب لأن انتليت من ألوت

إذا قصرّت كما قالوا: لا ألوه نصحاً، وقال الأصمعي: انتليت افعلت من ألوت الشيء إذا استطعته. يقول لا دريت ولا استطعت أن تدري.

(191) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، 131. وذكر أنه: ويقال أيضاً انتليت أي استطعت ويقال: ما يألوه أي يطيقه.

(192) الإتياع، أبو الطيب اللغوي، 10. ذكر أنه: ولا يقال انتليت والانتلاء: التقصير كأن المعنى ولا قصرّت في التفهم إلا أنه لا يقال مفرداً بمعنى الدعاء على الإنسان.

(193) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 160.

(194) المجهول، ص 65. وفسره: أي الرهب منك خير من الرحمة لك.

(195) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري، حققه: د. إحسان عباس، د. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، (د.ط) 1971م، ص 56. وقال: أي ترهب خير من أن تحب وترحم.

(196) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2. ذكر سابقاً.

(197) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3. لم يذكر حول معناه شيء.

5. التقارب في مخارج بعض الحروف: ومن ذلك قولهم:

— "لا آتيك سجييس عجيس" (198).

— "لا آتيك سجييس غبييس" (199).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنى واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (عجيس، غبييس) وكذلك قولهم:

— "ماله عافطة ولا نافطة" (200).

— "توينا في درّ غافطة وناطقة" (201).

وهنا كذلك نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنى واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (عافطة، غافطة). والذي أدى إلى هذا الاختلاف هو التقارب في مخرج الحروف فالعين والغين حقيقتان: تشتركان في المخرج وهو الحلق فكان ذلك سبباً في قلبهما وتبادلهما المخرج دون تغيير في المعنى "وأما العين فمخرجها وسط الحلق وأما الغين فمخرجها من أدنى الحلق" (202). وكذلك نلاحظ الاختلاف بين حرفي الباء والجيم في كلمتي (عجيس، غبييس)، ويمكننا تفسيره بتقارب مخارج الحرفين أيضاً، الباء شفوية مخرجها "مماً بين الشفتين معاً" (203)، وأما الجيم فشجرية "مخرجها من شجر الفم، أي مفتحة، من وسط اللسان، وما يحاذيه من الحنك الأعلى" (204)، وهذا التقارب بينهما أدى إلى هذا الاختلاف وكذلك يمكننا إرجاع هذا الاختلاف إلى السماع الخاطيء.

وكذلك قولهم:

— "إن لم يكن وفاق ففراق" (205).

(198) مجمع الأمثال، الميداني، 232/2. وإنما سمّي عجيساً لأنه يتعجس أي يبطئ فلا يذهب أبداً، يقال: سجليسس عجيس مصغراً وسجيس الأوجس ومعنى كله الدهر.

(199) فصل المقال، أبو عبيد البكري، 510. وقال: هو من قولهم: عجس تعجيساً إذا أبطأ الدهر، أي لا آتيك طول الدهر وأما غبييس فإنما يأتي من قولهم: غبا غبييس يقال: غبس الليل وأغبس إذا أظلم فكأنه قال ما أظلم الليل.

(200) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2. وفسره: العافطة: النعجة، والنافطة: العنز وقال بعضهم العافطة الأمة والنافطة: الشاة.

(201) الوسيط، الواحدي، 90 وفسره أي أقمنا درّ ضائنة وماعزة، فالغافطة: الضائنة، والنافطة: الماعزة أراد أقمنا عنده نشرب لبن الضأن والمعز. يضرب لمن كان في حال حسنة مع تلونها.

(202) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 120.

(203) المرجع نفسه، ص 120.

(204) المرجع نفسه، ص 120.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1. ذكر سابقاً.

— "لم يكن وماق ففراق" (206).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنىً واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (وماق، وفاق) والذي أدى إلى هذا الاختلاف في الروايتين هو تقارب مخرج حرفي الفاء والميم، فهما شفويتان "أما الفاء فمخرجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وأما الميم فمخرجها بانطباق الشفتين" (207). يقول أحدهم: "ومردّ الإبدال في كثيرٍ من هذه الكلمات إلى تطوّر يصيب بعض حروف الكلمة، فيحلُّ حرف محل حرف آخر يقاربه في المخرج، وهذا التقارب يُيسره بعض الحروف المجاورة للحرف المُبدل، إذ يؤثر صوت الحرف القوي في صوت الضعيف فيعين على قلبه إلى صوت جديد يناسبه" (208).

6. المجالس والمحاورات:

لقد كان المثل يشكّل تحدياً للمستمعين كي يقابلوه بمثل أفضل للمقام أو يناقضه في المعنى، وهذا من أسباب تعدّد الروايات في الأمثال، فقد انصبّ اهتمام الناطقين بالمثل على تحقيق المجانسة الصوتية والازدواج بين كلمات المثل دون الاهتمام بالمفردة نفسها وهذا ما دعا إلى استبدالها بأخرى على وزنها ورويها كما رأينا في حديثنا عن الرواية بالمعنى، وقد تكون المفردة من محض الخيال. ولاسيما أنّ كثيراً من الكلمات المزوجة جاءت للزينة اللفظية ولم يكن لها معنى، يقول أحد الباحثين: "القدماء من العرب جعلوا الجهل بالأمثال وعدم إتقانها نقصاً وعباً من يوجد فيه لا يستحقّ الانتساب إلى الأدب والأدباء" (209).

ويقول آخر: "الأمثال والألغاز لا تستخدم لتخزين المعرفة فقط بل لجذب الآخرين إلى معركة لفظية أو ذهنية، إذ يمثل نطق المثل أو اللغز تحدياً للمستمعين كي يقابلوه بمثل أفضل للمقام أو يناقضه في المعنى" (210).

وبعد عرضنا هذا نحاول الآن تبين أثر تعدد الروايات في المعنى العام للمثل، فقد لاحظنا فيما سبق بعض الأسباب التي فسّرنا بها تعدّد الروايات في الأمثال، فقد لاحظنا في بعض الأسباب السابقة محافظة المثل على معناه رغم التعدّد أو الإبدال في بعض حروفه، ومن ذلك ما جاء تحت الرواية بالمعنى، واختلاف اللهجات، والتقارب في مخارج بعض الحروف، وإذا ما حاولنا الوقوف عند هذه الظاهرة لاحظنا انعكاساتها الإيجابية تتجلى في كلمات المثل من خلال التوسع في اللغة وزيادة

(206) المستقصى، الزمخشري، 375/1. ذكر سابقاً.

(207) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 121.

(208) لغة قریش، مختار سيدي الغوث، ص 143.

(209) الأمثال العربية، مصطفى أبو العلا، نقلاً عن جمهرة الأمثال للعسكري، ص 72.

(210) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 157.

المرادفات التي تؤدي إلى زيادة الثروة اللغوية ويمكننا ملاحظة أثر ذلك من خلال الأمثال العديدة ومن ذلك قولهم:

- "ألقى الحسن بالإس" (جمهرة الأمثال، العسكري 131/1).
- "ألقى الحسن بالإس" (مجمع الأمثال، الميداني، 203/2).
- "بعد الهيظ والميظ" (المصدر نفسه، 140/1).
- "بعد الهياط والمياط" (مجمع الأمثال، الميداني، 140/1).
- "رهبوت خير من رحموت" (المجهول، 65).
- "رهبوتي خير من رحموتي" (فصل المقال، أبو عبيد البكري، 56).
- "عاشرينا وأخبرينا" (المستقصى، الزمخشري، 56/2).
- "جاورينا وأخبرينا" (مجمع الأمثال، الميداني، 224/1).
- "صغراها مرّاه" (المجهول، 69).
- "صغراهنّ شراهنّ" (مجمع الأمثال، الميداني، 553/1).
- "صغراهنّ مراهنّ" (أمثال العرب، المفضل الضبي، 168).
- "لا آتيك سجييس عجيس" (مجمع الأمثال، الميداني، 232/2).
- "لا آتيك سجييس غبييس" (فصل المقال، أبو عبيد البكري، 510).
- "لا دريت ولا انتليت" (الوسيط في الأمثال، الواحدي، 186).
- "لا دريت ولا تليت" (الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 131).
- "لا دريت ولا أليت" (الإتباع، أبو الطيب اللغوي، 10).

وفي ذلك يقول ابن جني فيما أسماه باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: "ومنها التقديم والتأخير في تغليب الأصول نحو (ك ل م) (ك م ل) و (م ك ل) ونحو ذلك. وهذا كلّه والحروف واحدة غير متجاورة، لكن من وراء هذا ضرب غيره، هو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني وهذا باب واسع من ذلك قوله تعالى: "ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً"⁽²¹¹⁾ أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزّهم هزّاً والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين"⁽²¹²⁾.

وما قاله ابن جني نراه ينسحب على معظم الأمثال التي سقناها آنفاً تحت تعدّد الروايات في الأمثال، فالتزواج الموسيقي هو الذي دفع قائل المثل إلى إعادة المثل ونطقه بأكثر من رواية، فبعض الأمثال تقارب فيها اللفظان لتقارب المعنيين، وهذا التقارب في المعاني تنافلته الألسن بألفاظ متعدّدة،

(211) سورة مريم — الآية 83.

(212) الخصائص ابن جني، 146/2.

وهذا ما سبب تعدد الروايات للمثل الواحد فقولهم مثلاً: ألصق الحسّ بالإسّ، ألحق الحسّ بالإسّ، هو نتيجة لهذا التقارب في اللفظين لتقارب المعنيين.

وبعد هذا العرض نستخلص النتائج التالية:

1. انحصرت أسباب تعدد الروايات في الأمثال ما بين كثرة التداول، الاختلاف في رواية المثل، الرواية المعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف، المجالس والمحاورات.
2. الأمثال التي جاءت ضمن كثرة التداول تتدرج الروايات المتعددة فيها تحت الاقتصاد اللغوي، وتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية بين كلمات المثل.
3. الأمثال التي جاءت ضمن الرواية بالمعنى تتدرج الروايات المتعددة فيها تحت سعي القائل إلى المحافظة على الوزن والروي ومراعاة المعنى إلى جانب المبنى.
4. انصباب اهتمام الناطقين بالمثل على تحقيق المجانسة الصوتية والازدواج بين كلمات المثل هو الذي دعا إلى استبدالها بأخرى على وزنها ورويها.
5. كان لتعدد الروايات في الأمثال دور في زيادة المرادفات التي تؤدي إلى زيادة الثروة اللغوية العربية.
6. تقارب اللفظين في بعض الأمثال كان نتيجة لتقارب المعنيين وهو ما سبب تعددًا في روايات بعض الأمثال.

رابعاً: الإبدال:

"وهو أن يحل حرف مكان آخر سواء كان حرف علّة أو غيره"⁽²¹³⁾.

ومن خلال دراستنا لعينة الأمثال المختارة يمكننا الوقوف على الأمثال التالية التي وقع الإبدال فيها ومن ذلك قولهم:

— "تركتم في حيص بيص"⁽²¹⁴⁾.

يقول الميداني: "حيص من بنات الياء وبيص من بنات الواو فأبدلت الواو ياءً ليزدوجا"⁽²¹⁵⁾.

وكلام الميداني يؤكد وقوع الإبدال في كلمة بيص فالأصل فيها بوص: وهو الفوت. فأبدلت الواو ياءً لتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية مع الكلمة الأخرى (الحيص).

— "جاء بأَمّ الربيق على أريق"⁽²¹⁶⁾.

يقول الميداني: "أريق أصله وريق بالواو تصغير أ ورق مرخماً"⁽²¹⁷⁾.

ورواية صاحب المثل تؤكد لنا أيضاً وقوع الإبدال في قوله أريق فالأصل وريق بالواو تصغير أ ورق مرخماً فأبدلت الواو همزة.

— "مليح بليح"⁽²¹⁸⁾.

والرواية الأخرى قولهم: — "مليح قزيح"⁽²¹⁹⁾.

فهنا نلاحظ الاختلاف بين روايتين وقد وقع فيهما إبدال بين كلمتي (بليح قزيح) والذي يجعلنا نطمئن إلى هذا الإبدال إشارة قائل المثل في الرواية الثانية يراد بذلك (المبالغة في المعنى) وكأنّ الإبدال هنا إنّما جاء للمبالغة في المعنى، فقد أبدلت الباء قافاً واللام زايّاً دون اختلاف في بقية الحروف. وقد يكون هذا الإبدال سببه كثرة تداول المثل على الألسنة وتناقله بين العوام.

(213) التطبيق الصرفي، د. عبدة الراجحي، دار النهضة العربية (د.ط)، 1984م، ص 177.

(214) مجمع الأمثال، الميداني، 175/1. ذكر سابقاً.

(215) المصدر نفسه، 175.

(216) المصدر نفسه، 233/1. ذكر سابقاً.

(217) المصدر نفسه، 233/1.

(218) كتاب الأمثال، السدوسي، ص 76. لم يذكر حول معناه شيء.

(219) كتاب الأمثال، أبو عكرمة الضبي، 101. وقال: يراد بذلك المبالغة في المعنى. فكأنه قال: هو في جودته وإحكامه بمنزلة الصنيع من الطبخ الذي قد ملح وقزح، والقزح: التابل وهو الابرار. ومليح فعيل من الملح.

— "لقبته أول صوتك بوك" (220).

يقول الميداني: "صوك من بنات الياء وبوك من بنات الواو فأبدلت الواو ياءً ليزدوجا" (221).

فهنا نرى أن القائل أشار صراحةً إلى الإبدال في كلمة صوك فالأصل فيها (صيك) فأبدلت الواو ياءً لتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية مع الكلمة الأخرى (بوك).

وإذا ما حاولنا هنا الوقوف على الدلالة النفسية للإبدال في الأمثال الأنفة الذكر نرى أنها قد حافظت على دلالتها النفسية قبل الإبدال و بعده، فالإبدال جاء في الغالب في حروف تحمل نفس الصفات، وجميع الأمثال التي وقع فيها الإبدال إنما كان الإبدال فيها لتحقيق الانسجام الصوتي والازدواج بين كلمتي الإبتاع والمزاوجة، فقد رأينا الإبدال يتكرر بكثرة بين حرفي الواو والياء وهما "حرفان جوفيان أو هوائيان" (222) ويشتركان في صفات الجهر والرخاوة والاستفال (223).

أما الإبدال بين الحروف فقد حمل أيضاً دلالة نفسية فالواو تحمل معنى الفعالية والانفعال المؤثر في الظواهر، كما أن صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم يوحى بالبعد إلى الأمام (224).

وإذا تأملنا في أمثلة الإبدال السابقة، ولاسيما التي أبدلت الياء فيها واواً نرى هذه المعاني تتجلى بوضوح فالمثل يقال في مقام إقامة البرهان والحجة، ولا بدّ مع ذلك من الانفعال والحدة وجاءت الواو بدلاً من الياء هنا لتناسب هذا المعنى وتدعمه، وأما الأمثلة التي أبدلت الواو فيها ياءً فهي لا تقل أهمية في الدلالة النفسية عن الواو، فالياء توحى بصور بصرية تبدو وكأنها تصعد من حفرة بشيء من المشقة، وإذا تحرك ما قبلها أعطتنا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق لتشفّ الياء في هذه الحالة عما في صميم الإنسان أو الأشياء من الخصائص المتأصلة فيها (225).

وهنا نرى أن الأمثال التي أبدلت الواو فيها ياءً (226) قد تناسبت فيها هذا الإبدال مع مقام المثل، فالقائل كما أسلفنا يستشهد في معرض الدفاع وإقامة الحجة، وهذه الياء كأنها أخرجت ما في قلب القائل من المشاعر والأفكار وكأنه يوجه ضربةً إلى خصمه.

(220) مجمع الأمثال، الميداني، 209/2. ذكر سابقاً.

(221) المصدر نفسه، 209/2.

(222) المدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور، ص 119.

(223) الجهر انحباس جري النفس عند النطق بالحرف ثم هزّه للوترين الصوتيين عند اندفاعه. (المرجع نفسه، 122) الرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه. (المرجع نفسه، 122).

الاستفال: انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم. (المرجع نفسه، 122).

(224) خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1998م، ص 96.

(225) المرجع نفسه، ص 98. بتصرف.

(226) لمزيد من التوضيح ينظر: الحرف العربي والشخصية العربية، حسن عباس، ص 132 — 134.

وهنا نذكر بأهم النتائج المستخلصة:

1. معظم الأمثال التي وقع الإبدال فيها، كان الدافع إليه تحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية في المثل مع الكلمة الأخرى.
2. الكلمات التي وقع الإبدال بين حروفها حافظت على دلالتها النفسية قبل الإبدال وبعده، فالحروف التي أبدلت بأخرى حملت نفس الخصائص الصوتية والصفات للحروف المبدل منها.

خامساً: التسهيل:

والمقصود بالتسهيل هنا تسهيل الهمزة وتخفيفها في النطق، حيث لوحظ شيوع التسهيل في فئة من الأمثال المدروسة، وفي ذلك يقول أحدهم: "اعلم أنّ الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريمة تجري مجرى التهوّع ثقلت بذلك على لسان المتلفّظ بها، فخففها قوم وهم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش" (227).

ويقول باحث آخر: "أهل الحجاز وقريش يقولون: إسأل يسأل سل بغير همز وبه قرأ نافع وابن عامر، وبه أيضاً نزل قوله تعالى "سل بني إسرائيل" (228) وبعض بني تميم يقول: سأل يسأل اسأل وبعضهم يقول في الأمر اسل بالألف وطرح الهمز" (229). ويقول آخر: "ولصعوبة الهمزة مالت بعض اللهجات العربية القديمة إلى تسهيلها، وكانت لغة قريش أشهرها تسهلاً" (230).

ومن الأمثال التي لوحظ تسهيل الهمز فيها قولهم:

— "ذياب في ثياب" (231).

هنا نلاحظ التسهيل واضحاً في المثل فالأصل في ذياب ذئاب بالهمز، إلّا أن القائل تخلّص من الهمز تسهلاً للتخفيف، وقد تكون لهجة قبيلة من القبائل العربية القديمة كما أشرنا سابقاً.

— "هو يشوب ويروب" (232).

هنا نلاحظ كذلك برواية صاحب المثل تسهيل الهمزة واواً للتخفيف في يروب. فالأصل فيها همزة (يرؤب) كما أشار قائل المثل.

— "إنّه لرابط الجاش على الأغباش" (233).

هنا نلاحظ كذلك تسهيل الهمزة ألفاً للتخفيف فالأصل في الجاش الجأش بالهمز، ولكنّ القائل تخلّص من الهمز، وقد تكون لهجة من اللهجات كما أشرنا.

(227) شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، 13/3 .

(228) سورة البقرة، الآية 211.

(229) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 160.

(230) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 56.

(231) زهر الأكم، اليوسي، 7/3. ذكر سابقاً.

(232) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2. فُسّر سابقاً.

(233) المصدر نفسه، 73/1. ذكر سابقاً.

ولعل النتيجة الأهم التي خلصنا إليها بعد عرضنا هذا ملاحظة وقوع التسهيل بالهمز في معظم الأمثال بسبب اختلاف اللهجات بين القبائل العربية، وإيثار بعضها التخفيف، بينما فضّلت الأخرى تحقيق الهمز.